

جاءات سياسية مختارة ، تقود الشعب بآرائها ، وتحتفظ في الوقت نفسه باحترام كامل لأمرائه .

إنه إحساس مدني راق ، هيا إلى جانب ظروف أخرى سياسية واجتماعية لإمبراطورية الأمويين في الأندلس أن تبلغ أوج عظمتها على يد عبد الرحمن الناصر .
وليس ثمة شك في أن ابن القوطية تأثر بهذا الجور المعنوي ، وأحس بكل هذه الدوافع التي تجعل مواطنيه يرتفعون به مرتبة عالية متميزة في درسه ، واعتدال سلوكه ، وسلامة تدينه ، واحترام نسبه العربي والقوطي ، وقد روى لنا الأحداث التي أسهمت فيها أسرته ودورها في القضايا العامة ، ولأن دم عنصرين يجري في عروقه ، فقد نخدم الاثنين في مدونته .

نجد في كتاب ابن القوطية عددا من الأساطير ذات الطابع القومي كانت تتداول شفاها بين المسلمين القوميين الإسبان^(٩) ، وتعكس في تضاعيفها دون قصد ، وعلى نحو واضح ، غلبة العنصر الأصلي من السكان على أيامه ، وهو يروي الوقائع دون أن يموه أو يشوه قاصداً .

وقد وجد ابن القوطية نفسه ، دون أن يقع ذلك في خاطره ، مرتبطاً بقومية بعض الفرق التي شاعت في الأندلس ، ولكن في اعتدال ، مدفوعاً إليها بثقافته المالكية ، وعلاقاته بالأسرة الأموية ، وروايته لأرطباس مع الصميل بن حاتم ، وميمون العابد ، وهي رواية زهاد قوميين ربما تفرعت عن اتجاهات شيعية تظهر لنا العرب في صور الجهلة المتبدلين ، وتصور لنا أرطباس القوطي رجلاً عظيم المواهب ، حميد الأخلاق ، وحتى ممتازاً في صلته الاجتماعية .

ويورد مؤلفنا في كتابه عدة روايات ذات طابع ملحمي ، تتميز بأنها قصيرة ، عن أزهى أيام إسبانيا الإقطاعية فروسية ، وتشمل الفترة التي تمتد من عصر الأمير محمد إلى عصر الأمير عبد الله ، وفيها ازدهر الشعر الملحمي على يد الشاعر تميم بن علقمة ، وكان

(٩) جانب كبير من روايات ابن القوطية يشهد على الرواية الشفوية ، سمعها من أساتذته الأسان ، إلى جانب بعض آخر سمعها من كتاب عبد الملك بن حبيب ، والمنظومة التاريخية للشاعر تميم بن علقمة . وضاعت ولم تصلنا .